النوع الثالث

معرفة النهاري والليلي

أمثلة النهاري كثيرة. قال ابن حبيب: نزل أكثر القرآن نهاراً؛ وأما الليل فتتبعتُ له أمثلة:

منها: آية تحويل القبلة، ففي الصحيحين [البخاري: ٤٠٣، ومسلم: ١١٧٨، وأحمد: ٥٩٣٤] من حديث ابن عُمر: بينما النَّاس بقُبَاء في صلاة الصبح، إذ أتاهم آتٍ فقال: إنَّ النبي ﷺ قد أُنزِلَ عليه الليلة قرآنٌ، وقد أُمر أن يَستقبل القبلة.

وروى مسلم [١١٨٠] عن أنس: أن النبي ﷺ كان يصلي نحوَ بيت المقدس، فنزلت: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [البقرة: ١٤٤]. فمرَّ رجلٌ من بني سلِمة، وهم ركوعٌ في صلاة الفجر، وقد صلَّوا ركعةً، فنادى: ألا إنَّ القبلة قد حُوِّلَتْ، فمالوا كلُّهم نحوَ القِبْلة.

لكن في الصحيحين عن البَراء: أنَّ النبي ﷺ صلَّى قِبل بيت المقدس ستَّة عشَر ـ أو سبعة عشر ـ شهراً، وكان يعجبه أن تكون قِبلته قِبَل البيت، وأنَّه أول صلاة صلَّاها العصرُ وصلَّى معه قومٌ، فخرَجَ رجل ممن صلَّى معه، فمرَّ على أهلِ مسجدٍ وهم راكعون، فقال: أشهد بالله، لقد صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ قِبَل الكعبة، فداروا كما هم قِبل البيت [البخاري: ٤٠، ومسلم: ١١٧٦ و١١٧٧، وأحمد: ١١٤٩٦]. فهذا يقتضي أنَّها نزلتْ نهاراً بين الظهر والعصر.

قال القاضي جلال الدين: والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولُها بالليل؛ لأنَّ قضية أهل قُباء كانت في الصبح، وقُباء قريبةٌ من المدينة، فيبعُد أن يكون رسول الله ﷺ أَخَّر البيانَ لهم من العصر إلى الصبح.

وقال ابن حجر: الأقوى أنَّ نزولها كان نهاراً، والجواب عن حديث ابن عمر: أنَّ الخبر وصَل وقتَ العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة، ووصل وقت الصبح إلى مَنْ هو خارج المدينة، وهم بنو عَمرو بن عوف أهل قباء. وقوله: «**قد أنزل عليه الليلة**» مجازٌ، من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والذي يليه.

قلت: ويؤيد هذا ما أخرجه النَّسائي [في «الكبرى»: ١١٠٠٤] عن أبي سعيد بن المعلَّى قال: مررنا يوماً ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر، فقلت: لقد حدث أمر، فجلستُ، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ حتى فرغ منها، ثم نزل فصلَّى الظهر.

ومنها: أواخر آل عمران، أخرج ابن حبَّان في «**صحيحه**» [٦٢٠ وإسناده صحيح]، وابن المنذر وابن مَرْدُويه وابنُ أبي الدنيا في «**كتاب التفكر**» عن عائشة: أن بلالاً أتى النبي ﷺ يُؤذنه لصلاة الصبح، فوجَده يبكي، فقال: يا رسول الله، ما يبكيك؟ قال: «**وما يمنعني أن أبكي وقد أُنزل عليَّ هذه الليلةَ:**

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]» ثم قال: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر**».

ومنها: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. أخرج الترمذي [٣٠٤٦] والحاكم [(٢/٣١٣) وهو صحيح] عن عائشة قالت: كان النبيُّ ﷺ يُحْرَسُ، حتى نزلَتْ، فأخرج رأسَه من القُبّة، فقال: «**أيُّها النَّاس، انصَرِفُوا فقد عصمني الله**».

وأخرج الطَّبراني [في «الكبير»: ١١٦٦٣] عن عِصْمة بن مالك الخُطَمي قال: كنَّا نحرُس رسول الله ﷺ بالليل حتى نزلت، فترك الحَرَس.

ومنها: سورة الأنعام، أخرج الطَّبراني [في «الكبير»: ٢٤/(٤٤٩)]، وأبو عُبيدٍ في «**فضائله**» [ص ٢٤٠] عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكَّة ليلاً جُملة، حولها سبعون ألفَ ملَك يجأرون بالتسبيح[(١)].

ومنها: آية الثلاثة الذين خُلِّفوا، ففي الصحيحين من حديث كعب: فأنزَلَ الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل [البخاري: ٤٦٧٧، ومسلم: ٧٠١٦، وأحمد: ١٥٧٨٩].

ومنها: سورة مريم، روى الطَّبراني [في «الكبير»: ١٢٩٣٠]، وأبو عبيد في «**فضائله**» عن ابن عباس قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: وُلدتْ لي الليلةَ جاريةٌ، فقال: «**والليلة أُنْزِلت عليَّ سورة مريم، سمِّها مريم**».

ومنها: أول الحج، ذكره ابنُ حبيب ومحمد بن بركات[(٢)] السعيديّ في كتابه «**الناسخ والمنسوخ**»، وجزم به السخاوي في «**جمال القراء**»[(٣)]. وقد يستدل له بما أخرجه ابن مردويه عن عِمْران بن حُصَين: أنها نزلت والنبي ﷺ في سفر، وقد نَعَسَ بعضُ القوم وتفرَّق بعضُهم، فرفَعَ بها صوتَهُ... الحديثَ.

ومنها: آية الإذن في خروج النِّسوة في الأحزاب، قال القاضي جلال الدين: والظاهر أنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٩]. ففي البخاري [٤٧٩٥] عن عائشة: خرجت سَوْدة بعدما ضُرب الحجابُ لحاجتها ـ وكانت امرأةً جسيمةً لا تخفى على مَن يَعرفها ـ فرآها عمر، فقال: يا سَوْدة، أمَا والله ما تَخْفَينَ علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأتُ راجعةً إلى رسول الله ﷺ، وإنَّه ليتعشَّى وفي يده عَرْق، فقلت: يا رسول الله، خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا؛ فأوحى الله إليه وإن العَرْق في يده ما وَضَعَه، فقال: «**إنَّه قد أُذِن لَكُنَّ أن تَخرجْنَ لحاجتِكُنّ**» [ومسلم: ٥٦٦٨، وأحمد: ٢٤٢٩٠].

قال القاضي جلال الدين: وإنما قلنا: إنَّ ذلك كان ليلاً؛ لأنَّهن إنما كُنَّ يخرجنَ للحاجة ليلاً، كما في الصحيح عن عائشة في حديث الإفك [البخاري: ٤٧٥٠، ومسلم: ٧٠٢٠، وأحمد: ٢٥٦٢٣].

---

(١) جأر إلى الله: تَضَرَّع بالدعاء. «المختار»: جَأَرَ.

(٢) محمد بن بركات: المصري أبو عبد الله، شيخ مصر في اللغة، له: «الإيجاز في الناسخ والمنسوخ» (ت: ٥٢٠ هـ). «حسن المحاضرة» ١/٣٠٧، و«شذرات الذهب» ٤/٦٢.

(٣) «جمال القراء» ١/١٢٨.

ومنها: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] على قول ابن حبيب: إنها نزلت ليلة الإسراء.

ومنها: أول الفتح، ففي البخاري [٤١٧٧] من حديث عُمر: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورةٌ هي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس، فقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾..» الحديث. [وأحمد: ٢٠٩].

ومنها: سورة المنافقين، كما أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم. [٣٣١٣ وهو حسن صحيح].

ومنها: سورة (والمرسلات)، قال السخاوي في «**جمال القرَّاء**»[(١)]: روي عن ابن مسعود: أنها نزلت ليلة الجنّ بحراء.

قلت: هذا أثر لا يُعرف، ثم رأيت في «صحيح الإسماعيلي» ـ وهو مستخرَجُه على البخاري ـ: أنَّها نزلت ليلة عرفة بغار منًى، وهو في الصحيحين بدون قوله: ليلة عرفة [البخاري: ١٨٣٠، ومسلم: ٥٨٣٥، وأحمد: ٣٥٧٤]. والمراد بها ليلة التاسعِ من ذي الحجة، فإنَّها التي كان النبيُّ ﷺ يبيتها بمنًى.

ومنها: المعوّذتان، فقد قال ابن أَشْتَهْ في «**المصاحف**»: نبأنا محمد بن يعقوب، نَبأنا أبو داود، نبأنا عثمان بن أبي شيبة، نبأنا جرير، عن بيان، عن قيس، عن عُقْبة بن عامر الجُهَني قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنْزِلت عليَّ الليلة آياتٌ لم يُرَ مثلُهنَّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

فرع: ومنه: ما نزل بين الليل والنهار في وقت الصبح، وذلك آياتٌ:

منها: آية التيمم في المائدة، ففي الصحيح عن عائشة: وحضرت الصبحُ فالتُمس الماءُ فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]. [البخاري: ٤٦٠٨، ومسلم: ٨١٦، وأحمد: ٢٦٣٤١].

ومنها: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. ففي الصحيح: أَنَّها نزلت وهو في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، حين أراد أن يقنُت يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه. [البخاري: ٤٠٧٠، وأحمد: ٥٦٧٤].

تنبيه: فإن قلتَ: فما تصنع بحديث جابر مرفوعاً: «**أَصدقُ الرؤيا ما كان نهاراً، لأن الله خصَّني بالوحي نهاراً**»؟ أخرجه الحاكم في «تاريخه».

قلت: هذا الحديث منكَر لا يحتج به[(٢)].

---

(١) «جمال القراء» ١/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) قال المناوي في «فيض القدير» بعد أن حكم على الحديث بالضعف: قد يقال: الرؤيا النهارية أصدق من الرؤيا الليلية ما عدا السحر جمعاً بين الحديثين. [وقد] قال الحاكم: صحيح. وأقرّه الذهبي في «التلخيص». «فيض القدير» ١/ ٥٣٠.

قلتُ: والحديث الذي أشار إليه المناوي هو: «أصدق الرؤيا بالأسحار» قد رواه أحمد في «مسنده» (١١٢٤٠)، والترمذي (٢٢٧٤) عن أبي سعيد. وإسناده ضعيف.